

الرواقية وفكرة الجامعة الانسانية

الجامعة المستنصرية / كلية الاداب

د. حسن حمود الطائي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)) صدق الله العظيم

بداية اسأل عن معنى حبل الله ؟ فقد وجدت واحداً من الاجابات مفاده ، انه يعني آيات الله ونعمه وفضائله التي انعم بها الله على الانسان ، انه يعني ايضاً كرم الله تجاه خلقه وبموجب ذلك لم يفرق الله تعالى بين سائر خلقه وفي شتى ارض المعمورة لا في العراق ، ولا في امريكا ، ولا في اليابان ولا في أي بقعة من العالم ، انه حبل الله ، وهو رسالته الى كل الكائنات الناطقة منها وغير الناطقة .

واعتقد جازماً ان الله يحبنا كثيراً نحن بني البشر ، وما اسعدنا بهذا الحب وما اجمله من حب ، وان الله يحبنا كثيراً فقد غرس المحبة فينا ولذلك نجده قد اعطانا جرماً متساوية من محبته ومن اجل هذا وجب حبه وحب بعضنا البعض وهذه دعوة اوجهها الى جميع الناس على هذه الارض ان نحب بعضنا البعض الآخر لأن الخالق هو الذي يريد ذلك طالما اننا جميعاً في تناول جرعة من محبته .

لكنني اعود واقول نحن الذين اخطأنا في تقديرنا لتلك المحبة وابتعدنا عن حبل الله وبدأنا نعطي عناوين لتلك المحبة لا تتسجم مع ما يريده الله بنا . وهكذا نجد الاديان المختلفة قد عبرت عن ما يريد الله لبني البشر وهو الدعوة الى انسانية العالم عن طريق المحبة والتجانس بين الناس بل التجانس بين الانسان والمخلوقات الاخرى وكذلك التجانس بين الانسان والطبيعة ، انها دعوة الى الاخوة العالمية .

ان حصيلة هذا الجهد الديني الكبير هو جواب وخطاب للانسان على ان الحرب هي فراغ حضاري ، وبالمناسبة هنا ارى من الاهمية بمكان ان اشير الى ان الدين ينبغي ان يكون تجسيد وسلوك لا ادعاء لفظياً كما نرى عند البعض ، وحقيقة الامر انه يجب ان يكون الادعاء بالدين التزاماً ، فالاديان غايتها الصلاح ولا يمكن ان نقول انها اتت لسفك الدماء .

وانسجاماً مع ما اسلفت وانطلاقاً من ساحتنا الفلسفية وجدت نفسي امام كم هائل من الفلسفات التي بحثت موضوع الأخوة بين الناس والتعاطف فيما بينهم والتجانس بين الانسان من جهة ومع الطبيعة من جهة ثانية ، كل ذلك مضافاً اليه مفردات اخلاقية اخرى ، الا انني ذهبت الى الفلسفة الرواقية والجانب الاخلاقي على وجه الدقة كنموذج لفلسفة يونانية متأخرة بعد ارسطو والحقيقة ان هنالك من المدارس سواء اليونانية او الاسلامية او غربية حديثة او معاصرة ربما تفوق او تقل اهمية عن ما اتت بها هذه المدرسة . وربما نترك ذلك الى بحوث ودراسات قادمة .

وربما واحد من اهم دوافع البحث التي دعنتي لهذا الاختيار كوني وجدت ومن خلال قراءة متواضعة لتاريخ المدرسة والظروف التي خرجت منها هي شبيه بعض الشيء بالظروف التي نحيا في ظلها على مستوى الداخل او في مناطق اخرى عديدة من عالمنا المعاصر ، والتي من بينها دعوة تعسفية الى نبذ الاخر والتعامل بقيم المدينة الواحدة ، تضيق لدائرة الصداقة والمحبة ، والتنافر بين ما يريده الشرق من قيم وبين ما يريده الغرب ، الانغلاق على الذات وعدم الحوار ...الخ ، وقد خرجت المدرسة الرواقية بجوانب ومحاولة هي فكرة الجامعة الإنسانية وسوف يكون حديثنا عن تلك الفكرة من خلال المذهب مكتملاً وقد عبر عن ذلك مؤسس المدرسة زينون الأكتومي _ نسبة الى مدينة اكتيوم في قبرص _ وابيكتيوس ، وكريسبوس ، وسنيكا .

هؤلاء الرواقيون دعاة مدرسة فلسفية انتشرت في اطار الثقافة اليونانية في القرن الرابع ق.م تحت تأثير الافكار التي تدعوا الى المواطنة العالمية ، وتحت تأثير الافكار ذات النزعة الفردية (١) . والرواقية في صميمها مذهب اخلاقي ، وهي قاعدة للحياة وقد تنازع اصحابها فيما بينهم على كثير من مسائل الفلسفة ، والواقع ان الخلاف قد احتدم بين شيوخهم الأولين في اكثر من موضع من المناطق وفلسفة الكون ولكن هذه الامور تكاد تكون عرضية بالنسبة الى جوهر الفلسفة الرواقية (٢) خاصة ، وقال سنيكا " الفلسفة منهج مستقيم في الحياة وعلم يعدنا لأن نحيا على الفضيلة " .

وقد يؤخذ على افلاطون وارسطو في مذهب الاخلاق امران :
اولهما :

ان هذين الفيلسوفين اخضعا الفرد للدولة ، وانكر بذلك حق الانسان في الحرية الشخصية .
ثانيهما :

انهما لم يفرقا بين روابط الصداقة والعطف الا ما يكون بين المواطنين من اهل المدينة الواحدة (٣) . ومعنى هذا ان البشر يتفاوتون بحسب الجنس والعرق واللغة والوطن ومن هنا يؤكد الباحث لحظة العجب ذاتها التي وردت ((عثمان امين)) في كتابه الفلسفة الرواقية ، حيث وجد اقرار ارسطو لمزاعم معاصريه القائلين بأن أبناء اليونان أعرق جنساً وأشرف قيمة ممن ليسوا بيونان . ويرى الباحث ان جمالية المفردة الفلسفية تكمن في عموميتها وعندما تكون جامعة مانعة ، قابلة للحوار ، غير منغلقة على ذاتها وإلا اتهمت بالتعسف ، وهذا ما فات ارسطو مع انه تربع على العرش الفلسفي لمدة طويلة ولقد ألح الرواقيون على فكرة ((جامعة انسانية)) تضم البشر وتحل مبدأ الإنسان محل مبدأ المواطن ، وقد امنوا بأن الالهة والناس انما يمثلون اجزاء من العقل الكوني ، وان الطبيعة قد اعدت البشر ليؤلفوا أسرة واحدة ، مهما تباينت لغاتهم وبلادهم (٤) . وهذه الاسرة الشاملة تحقق مملكة العقل وفرادها هم افراد الانسانية ، انهم اتوا نصيباً من العقل ولا بد ان يحيوا في مجتمع عقلي شامل .

(١) روزنتال ، الموسوعة الفلسفية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص٢٣ .

(٢) عثمان امين ، الفلسفة الرواقية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١م ص١٩٧-١٩٨ .

(٣) عثمان امين ، الفلسفة الرواقية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص٢٤٠ وانظر عادل العوا ، المذاهب الاخلاقية ج٢ط ، دمشق ، ١٩٦٣م ، ص١٣-١٤ .

(٤) اندريه كرسون ، المشكلة الاخلاقية والفلسفة ، ترجمة عبد الحلیم محمد ، دار الاحياء ، ١٩٤٦م ، ص٦٨ .

ان الرواقي لا يشبهه في شيء الراهب الذي يعتزل الحياة ، انه يحيا كما يحيا المجتمع ويعيش وسطه ، غير انه يتعهد بالعناية بحديقته الداخلية اعني نفسه انه ينعم بما يأتيه له الحظ من اشياء غير انه ينعم كما ينعم المسافر الذي يحل بفندق انه يستمتع بما في الفندق ولكنه لا يتأثر به ، وهو مستعد كل لحظة للرحيل عنه بدون ان يأسف على تركه ويرغب البقاء فيه وبدون ان تسيل عبراته لمغادرته (١) .

العقل الصريح :

وتأسيساً على ما سبق فقد عرف الرواقيون الفضيلة بأنها العقل الصريح (٢) ويعنون به العقل الشامل وهو العقل الذي يظل دائماً متنسقاً مع نفسه ، وينتج عن العقل الصريح هذا حياة متنسقة مع نفسها ، والرجل الفاضل الحكيم الذي يسير حياته كلها وفقاً للعقل الصريح انما يحيا وفقاً للطبيعة العامة ، وهو مواطن حقيقي من مواطن العالم وهو يقبل طوعاً كل ما يأتي به القدر من احداث ، حتى المصائب والنكبات معتقداً انها داخلة في النظام الكوني والقدر الالهي ، والرجل الخبيث على عكس ذلك تجده على خلاف مع نفسه وعلى خلاف مع الموجودات جميعاً ، وهو اجنبي في المدينة العظمى خارج عن مجموعة الاشياء ، وفي هذا المضمار ميز عبد الرحمن بدوي بين النزعة العالمية من جهة والنزعة الكونية من جهة ثانية ، فالنزعة الكونية تنظر الى الانسان بوصفه جزء من الكون ملتئماً فيه ، بينما النزعة العالمية تنظر الى الانسان بوصفه عضواً في جماعة هي الجماعة الانسانية (٣) .

ان الرواقي قد داخل كثيراً بين المفردتين سالفتي الذكر ، كونه اعتقد ان العالم ومكوناته بما فيها الانسان جزء من هذا الكون وهم جميعاً يشكلون الكون كأن الرواقي عقد نوعاً من الصداقة بين اجزاء الكون المختلفة من انسان وحيوان ونبات وحتى الجماد قاصداً من جراء ذلك مشاهدة ما اسماه موطن الكون لا موطن العالم . ولما كان الانسان مخلوقاً قد ادته الطبيعة للاجتماع والعمران فقد وجب على الناس ان يكونوا اخوان وان يتوحدوا فيما بينهم تبعاً لمملكة العقل وهي مملكة تشمل افراد الانسانية جميعاً وهذا يجعلهم مهيوون للفضيلة ، والدولة المثالية في تصورهم لا تعرف حدوداً ولا فروقاً بل هي مجتمع عقلي منظم يضم البشر اجمعين ، وان شئت قل هي امبراطورية مثالية واسعة الاطراف .

ويرجع توفيق الطويل جذور هذه الفكرة الى اصلين من اصول مذهبهم هما :

١- ان الكون واحد ينظمه قانون واحد وينشأ من اله واحد .

٢- ان الناس متفقون في طبيعة اساسية واحدة هي العقل .

ولهذا ارتدوا من حيث هم كائنات ناطقة الى ماهية واحدة ومن ثم وجب ان يؤلفوا واحداً (٤) .

وفي حقيقة الامر ان الاختلاف الاساسي بين الانسان والحيوان يكمن فوق كل شيء في ان الانسان ينتج ادوات عمل لغرض التأثير في الطبيعة وتحويلها ، بينما يكيف الحيوان نفسه مع

(١) المصدر السابق

(٢) عثمان امين ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) عبد الرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ الطبع ، ص ٤٩-٥٠ .

(٤) توفيق الطويل ، الفلسفة الاخلاقية نشأتها وتطورها ، ص ٩٣ .

الظروف الطبيعية فان الانسان يكيف الطبيعة مع نفسه خلال نشاطه الانتاجي والانسان لا يمكن ان يوجد بمعزل عن الناس الاخرين فأنه منصهر في ظروف اجتماعية محددة .

ويرى الرواقيون ان تقسيم العالم الى دول متحاربة لا ينسجم ولا يساير طبيعتهم العاقلة والمهم في توحيدهم هنا هو الاحساس بوحدة العالم تلك الوحدة المعنوية الكاملة بين الالهة والبشر وقوامها اتحادهم في الجوهر وهو العقل . وهذه الفكرة على ما يرى لفيف من الباحثين (١) لم تكن تحمل في الاصل أي معنى سياسي ، فالمدن البشرية تتضمن فروقاً وعدم مساواة بين الرجال والنساء ، واما المدينة الالهية التي هي العالم فعلى العكس من ذلك تتساوى فيها كل الكائنات العاقلة .

وقد اكد الرواقيون ان شرف الانتساب الى عقل واحد هو افضل بكثير من قرابة المولد وهذا الانتساب العقلي اهم ما يصل بين كل فرد من افراد الجامعة الانسانية (٢) وعلى هذا الاساس جعل الرواقيون من العقل معياراً للخير والشر ومن هنا قيل انهم قاموا بارائهم اخلاق العقل واتجهوا بالفلسفة من المعرفة الى الاخلاق ، ذلك ان كل فعل يتم بمقتضى العقل الرواقي هو فعل حسن كالاتدال والحكمة والشجاعة والعدل وكل فعل يتم دون العقل الصريح هو فعل قبيح كالجهل والاسراف والجبين والظلم .

وفي هذا الصدد نستعرض اراء بعض الفلاسفة وفي مراحل مختلفة من تاريخ الفلسفة من اجل الكشف عن اوجه اللقاء بين الاتجاه الرواقي في هذه المفردة وبين هؤلاء الفلاسفة ، ملاحظين مدى اهمية هذا التلاقي والحوار في انعاش الفكر الفلسفي . حيث يرى ابو بكر الرازي مثلاً ان الاخلاق التي تقوم على حكم الهوى والطباع قاصرة على ادراك معاني السعادة واللذة على صاحبها بينما الاخلاق التي تقوم على العقل في ردع الهوى والطباع هي الاخلاق الواجب اتباعها (٣) .

وقد نحى توما الاكويني منحى متشابهاً للرواقيون عندما ربط بين خيرية الافعال وموافقة العقل وشرعيتها ومخالفة العقل بل انه وضع العقل اساساً للسعادة عندما ربطها بالفعل الاقصى (٤) . وقد ميز عمانوئيل كانت بين حدين للعقل اذا اقام الاخلاق العملية على العقل العلمي الذي يرتبط بحدود افعال الانسان وعقله وتفاعل هذا العقل مع الواقع كما اقام الاخلاق النظرية على العقل الخالص المطلق مصدراً للمفاهيم الاخلاقية القبلية المطلوبة بذاتها ولذاتها (٥) . بينما نجد ديكارت الذي تابع الرواقية ايضاً في القول بالعقل يقول ان العقل كاف اذ وجهه توجيهاً حسناً في ان يهدينا الى اعلى واكمل اخلاق . بيد ان العقل عند ديكارت هنا يعزز صورة العقل الانساني لا صورة العقل الكلي الصريح على غرار ما وجدناه عند الرواقيين .

وهنا نلاحظ صدقاً قريباً الى صورة ديكارت لدى برغسون الذي رأى ان المصلحة الانسانية

(١) لفيف من الباحثين ، من الحكيم الى الوطن ، دراسة في الثقافة الاخلاقية ، ترجمة وتعليق محمد مندور ، ط١ ، عيون الادب العربي ، العدد الثاني ، ص٢٧-٢٨ .

(٢) برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الاول ، ترجمة زكي نجيب محمود ، ط٣ ، ١٩٧٨ م ، ص٣٨ .

(٣) انظر محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص٣ ، وعثمان امين ، الفلسفة الرواقية ، ص٢١٧-٢١٨ .

(٤) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الاوربية ، القاهرة ، بلا تاريخ ، ط٣ ، ص١٧٧ .

(٥) عما نوثيل كنت . المبادئ الاساسية لميتافيزيقيا الخلاق ، ترجمة حكمة حمصي بلا مكان وتاريخ طبع ، ص٤٥-٤٦ .

توجب ان يستند البناء الاخلاقي على اساس العقل ، لان النشاط الاخلاقي في مجتمع متحضر انما هو عقلي قبل كل شيء (١) . وهذا هو الدور الكلي الشامل الذي اعطاه الرواقيون للفلسفة في ضوء فلسفتهم الاخلاقية ، بمعنى انهم فهموا الفلسفة على انها توجيه للحياة وفق ما يقتضيه العقل

للوصول الى الخير الانساني والذي نراه موجوداً وفي متناول كل انسان اذا احسن توجيه العقل توجيهاً دقيقاً وثبتت الرواقية هنا مبدأ تتطرق منه في مناقشة الخير الانساني فهي ترى ان الخير يكون لكل موجود ، اذا كان متفقاً مع طبيعته الخاصة وترتب على هذا عندهم ان الخير الانساني يقوم على الاتفاق مع طبيعة الانسان لذلك رفع الرواقيون لهم شعاراً في الاخلاق ((الحياة وفقاً للطبيعة)) (٢) .

العيش على وفاق مع الطبيعة :

ان المبدأ الاساسي الذي يقوم عليه الاخلاق عند الرواقيين هو ان يكون السير وفقاً للطبيعة ، فاننا اذا نظرنا الى طبيعة الحياة الانسانية لوجدنا ان المبدأ الاول الذي تقوم عليه الحياة هو المحافظة والبقاء عليها ، ثم العمل على ما تقتضيه طبيعتها ، طبيعة الحياة الخارجية وطبيعة الحياة الانسانية سواء بسواء ، لهذا فان السلوك يجب ان يكون بمقتضى العقل بمعنى السير بمقتضى الطبيعة لان العقل والطبيعة شيء واحد (٣) . ومهما تعددت الصيغ التي يستعملها الرواقيون في تحديدهم لمعنى الخير فأنهم يتفقون جميعاً في ان الطبيعة والعقل وجهان لعملة واحدة . لذلك نجد ان زينون يقول عن الطبيعة انها العقل . ونرى سنيكا يتحدث عن الفضيلة بوصفها معرفة ما في الطبيعة من اشياء (٤) .

ونتيجة لهذا التجانس بين العقل البشري والعقل الكوني فان معرفة الانسان وواجباته لا تكون كاملة حتى تشمل الكون ومكان الانسان فيه لانه اذا ما فهم محل العقل في الكون استطاع ان يوحد بين نفسه وبين غاية الكون (٥) . ولم يرى الرواقيون مسوغاً للتفريق بين بني الانسان في المعاملة ما داموا ينتمون جميعاً الى اصل واحد ، فيجب وجوباً لا مفر منه ان نعامل كل انسان كائن من كان معاملة حسنة طيبة ولا نستثني من ذلك العبيد فهم كذلك جديرون منا بكل عناية وتقدير (٦) . ويقولون عن الاحمق والحكيم كلاهما يسير الى نتيجة واحدة اما الفارق بينهما فالحكيم يعلم طبيعة البشر وتبعاً لهذه الطبيعة يسلك بأن يوفق بين حساسيته ونيته وحالته الباطنية وبين ما تقتضيه طبائع الاشياء ، بينما الاحمق يكون ذا حال باطنه مختلف عما تقتضيه طبائع الاشياء فيحدث نزاع بين حساسيته وبين عقله .

ان العيش بمقتضى الطبيعة معناه ان يتبع الدافع الغريزي الى البقاء اما اللذة فهي ظاهرة سطحية وعلامة على ما تفتح الكائن وبالنسبة الى الحيوان العيش بمقتضى الطبيعة معناه التوجه

(١) برغسون ، منبع الاخلاق والدين ، ترجمة د. سامي الدوري وعبد الله عبد الدايم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧١م، ص٨٩ .

(٢) بدوي ، خريف الفكر : ص ٤٠ .

(٣) بدوي ، خريف الفكر ، ص ٤٢ .

(٤) الموسوعة الفلسفية ، ص ٩٥ .

(٥) احمد امين ، قصة الفلسفة اليونانية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ٣٠٤ .

(٦) حسن علي الذنون ، فلسفة القانون ، ط ١ ، ١٩٧٧م ، بغداد ، ص٣٦-٣٧ .

وفقاً للميول ، اما بالنسبة الى الانسان فان العيش بمقتضى الطبيعة معناه العيش وفقاً للعقل لان العقل هو الذي يؤلف جوهر الطبيعة الانسانية (١) .

عن هذه الطبيعة وانواعها يصنفها الرواقيون في نوعين :

أ- امور لا تتوقف علينا : الجسم ، الاموال ، الشهرة ، المكانة وبالجملة كل ما ليس من عالمنا فنحن لا نملك ان نجعل اجسامنا صحيحة او مريضة ، جميلة او قبيحة ، قوية او ضعيفة ، والاموال هي سائر الاشياء الموجودة في الطبيعة بخلاف اجسامنا الثروات وكذلك اجسام الاحياء الاعزاء علينا مثل ابنائنا وازواجنا واهلنا ، اما الشهرة والمكانة فتندرجان في باب واحد هو اثار الاخرين فينا وهذه امور لا حيلة لنا فيها فلنسلم بها كما تجيء .

ب- امور تتوقف علينا : كالرأي (الظن) ، الشهرة ، الكراهية والمهم من بينها هو الظن او الرأي ، ثم الارادة وليس المهم هو الاشياء بل راينا فيها فحسب ، فالموت شيء مخيف لان سقراط كان يجده مخيفاً لكن المخيف هو الموت .

اذن الحكيم الذي يريد العيش وفقاً او بمقتضى الطبيعة يريد تحقيق كماله وانسانيته وما يترتب على هذا التسليم ، هذا التسليم يشوبه السرور ، او بالاحرى هو فوق الحزن والسرور انه يسمو بنا على عدم الانفعال ، والحكيم لا يعرف الالم ولا الخوف ويملك الخير كله ولا ينقصه شيء ويقول زينون ان الحكيم غني حتى لو كان شحاذاً جميل حتى لو كان مشوه الخلقة ونبيل حتى لو كان عبداً .

ومنذ العصر اليوناني اتهم الناس الحكيم الرواقي بعدم الاحساس وبعدم الانسانية لانه لا يتأثر بشيء ولا ينفعل لشيء دعونا نرفع هذا الاتهام بقدر ما استطعنا ذلك . يقول سنيكا في ثبات الحكيم عندما يشبه الحكيم بالصخرة التي تهاجمها الامواج دون ان ترزعزعا ، فليس معنى هذا ان الحكيم مثل الصخرة الخالية من الاحساس ، فهو يتألم من التعذيب لان الفضيلة لا تقضي على الحساسية في الانسان .

اما المقصود بالسكينة هو ان لا ينساق وراء الانفعال ما به اهانة او ظلم هو لا يعبأ بها بل يسمو فوقها انه لا يعبأ بالالام ولا بالاحداث العارضة ولا حتى بالموت لانه لا مفر منه ، انه يدعو الى محبة الجنس البشري بأسره ، ولهذا يجب ان نحب الاصدقاء والاخوة والاقرباء والاطهار والمواطنين وكل البشرية من اجل ذاتها لا لغاية اخرى او منفعة ، وهكذا تتحول فضيلة العدل الى عطف وتعاطف وطيبة وكرم وسخاء وتسامح .

ان الحكيم الذي يعيش بمقتضى الطبيعة يكون انساناً وصديقاً وفيماً ثابتاً نزيهاً عن الانحراف ، مخلصاً لغيره كما هو مخلص لنفسه هادئاً مع الجاهل ، صابراً مع الاحمق ، وحتى مع المجرم لا بد من الكلام ابتغاء اصلاح حاله ، ولهذا يصبح خيراً كل انسان خيراً لي لان المبدأ العام هو العيش في انسانيته والتعاطف مع مواطن العالم وهذا جزء من شريعة الجامعة الانسانية وفهم طبيعتها .

(1) عبد الرحمن بدوي ، الخلاق النظرية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٧٥م ، ص ٢٥٦ .

هذا ما نجده واضحاً عند القديس او غسطين عندما صارت المحبة جزء حيويماً في اخلاقه كونه قال عن الله هو ذاته محبة ، والمحبة المقصودة هنا ليست الحب بالمعنى العاطفي الموجود في الشعر والمسرحيات ولا حب الام لولدها لانه عاطفة غريزية هو ولا طبع بالمعنى الجسدي ، دائماً المحبة التي قصدها الرواقيون هو ان تحب لغيرك ما تحب لنفسك ، وان تتجاوز العدل لان العدل

يقضي فقط باحترام حقوق الاخرين ، بينما المحبة تدعو الى بذل الذات وما للذات من اجل الاخرين دون ان يكون ذلك البذل مترتباً على حق الاخرين .

الخاتمة :

- ان الحكمة والسعة تحصلان من الانسياب في تيار الحياة الكونية ، فأذا اتبع الانسان الفضيلة عاش هانئاً سعيداً وسبب ذلك ان الفضيلة جيدة كلها ، وان الرذيلة كلها شر بمعنى ان الفضيلة توصل الى السعادة ، والرذيلة تجر الى الشقاء وان في الطبيعة البشرية جزء الهياً تصدر عنه الحكمة العملية وهذه الحكمة اساس العفة والشجاعة والعدل . لذا فان الفضائل المختلفة تتحد في اطار فضيلة واحدة بها يتميز الحكيم الرواقي وهي تركز الى العقل .

- ان موقف الرواقية من قضية الرق والفوارق العرقية بين البشر يتمثل بعدم اقرارها لرأي ارسطو وافلاطون القائل بأن البشر يتفاوتون قيمة بتفاوت جنسهم وعرقهم ولغتهم وموطنهم ، وهذا ما اتفق به ابيقور مع الرواقين فقد صرح بجواز قبول الاجانب والاغراب في مدينته ، بل ان احد اتباع ابيقور واسمه (هرمارك) يمضي الى ابعد من ذلك ويتمنى قيام جامعة كونية تضم الانسان والحيوان في ظل قوانين يحترمها الطرفان .

- واجمل ما وجدته عند الرواقين هنا هو تمردهم على الاراء الذائعة انذاك كعدهم ان اليونان لا يستأثرون وحدهم بالعقل والذكاء والفتنة ، وارضهم هي ليست وحدها ارض المعجزة او ارض الانسانية ، ولنا دراسة متواضعة في هذا السياق بأطار مفصل (المعجزة اليونانية اراء وردود) لم تلقى النور بعد .

- ومن اهم المفردات الاخلاقية التي اكدت عليها هذه الجامعة ، فكرة الانصاف والتي كان لها صداها في الفكر الرواقي واصبح لها من القوة والصرامة ربما تجاوزت واصبحت اقوى من صرامة القانون ، انهم دعوا الى التأخي بل جعلوا من هذه الفكرة الاخلاقية ضرورة من ضرورات الانسانية لتؤلف كلا واحداً متعاطفاً مع نفسه .

- انهم غلبوا اساليب اللين على اساليب العنف والشدة وكثيراً ما نجدهم قد دعوا الى الاتصال والحوار مع الاخرين اضع الى ذلك دعوتهم الى سياسة يكون فيها القانون واحداً للجميع يعمل على المساواة في الحقوق وحرية الكلام ودعوا الى حكومة تخدم قبل كل شيء حرية الرعاية .

- استبدل الرواقيون مفهوم العالم مقابل مفهوم المدينة الذي كان سائداً قبلهم وانظروا الى المجتمعات كلها كنظرتهم الى حقيقة واحدة ولم يفرقوا بين حقيقة الكون وحقيقة الفرد فكلاهما حقيقة واحدة متنسقة .

- ان احساسهم بفكرة المواطن العالمي حسب اعتقادنا هي التي اعطت الرواقي احساساً بالقوة في تقديره لقوى الانسان وهو يمر بظروف قاسية ، فهو لم يترك لليأس والقنوط سبيلاً لنفسه .

- قولهم بأخلاق اللذة على انها اخلاق بهيمية وعلى الحكيم ان يعتصم بإرادته كان للباحث موقف لا يتفق مع ما ادلوا به بخصوص اخلاق اللذة (انظر اطروحتنا في الدكتوراه حول هذا الموضوع) .

- ان الاخلاق الرواقية وفكرة الجامعة الانسانية هي ليست من الامور عسيرة التحقق فقد وجدنا امثلة لآخلاقيات فلاسفة من المسيحية وحتى فلاسفة محدثين قد استلهموا الشيء الكثير من النموذج الرواقي ، ونؤكد هنا ما قلناه عن ديكارت حيث يرى هو ايضاً ان الانسان في الواقع جزء من

الكون وهو بوجه اخص جزء من هذه الارض وهذه الدولة ، وهذا المجتمع ، وهذه الاسرة ، تربطنا بهذه الوقائع رابطة السكن او الولاء او الولادة ، ولذا يترتب علينا ان نرجح دائما جانب المصلحة الاوسع مصلحة الكل الذي ننتمي اليه كجزء منه على صالحنا الفردي الخاص .